أفديك بعمرى يا كلبي

الأحاديث والأقاويل كثيرة فى الآونة الأخيرة عن ذكر بعض الحيوانات الأليفة التى تعتبر شريكًا للإنسان فى حياته اليومية والعملية على حد سواء، ولقد كان فى مقدمة الإعلام كافة الحمار، لقد أخذ الحمار مساحات شاسعة من الصحف والمجلات.

إن العلاقة بين الحيوان والبشر علاقة أزلية وليست العلاقة مقتصرة على مكان معين، ولكن تشمل كل عالمنا الذى نعيش فيه كافة، ولقد راودنى موضوع طرح لدى بعض الصحف وهو إقبال أسرة من جنوب الهند، بلد الأساطير والحكايات والروايات وهذه الأسرة مكونة من زوجين لم ينجبا، ولقد شرعا بقتل أنفسهما حزنًا على كلبهما الذى لقى حتفه، هل هذه نكتة أم مصيبة أم مشكلة؟! لا يجب السكوت عليها ويجب مناقشتها من جميع زواياها، لقد ذهلت لهذه الطريقة البشعة التى أقدم عليها هذان الزوجان لترك الدنيا بما فيها حزنًا على كلبهما، ونحن البشر لا ننكر بأى حال من الأحوال بأن الكلب معروف عنه الوفاء لصاحبه، وهذه حقيقة أن الكلب لديه مقدرة على شم رائحة صاحبه على بعد مسافات طويلة والتمييز بين

القريب والغريب عن الدار، ولقد كان بإمكان الزوجين اللذين لم يرزقا بأطفال اللجوء إلى دار الأيتام وتبنى أطفال، وهذه الأماكن متوفرة فى جميع دول العالم، لكن لماذا لم يلجآ لهذه الأماكن واكتفيا بالكلب حتى يكون الأنيس والونيس لهما فى حياتهما؟! هل هو هوس بتربية الحيوانات أم معاناة بعض البشر لمصداقيتهم بالإنسان ففضلوا الكلب ليعيش بينهم؟!أنا شخصيًا لدى صديق عزيز علىَّ حقًا ويعمل راعى أغنام سألته يومًا: أنت تخرج صباحًا وترجع مساءً دون أن تتحدث مع أحد! أليست هذه حياة صعبة عليك؟ فقال: إننى أحب الوحدة أحب مهنتى هذه لقد فهمت حيواناتى وكلبى ماذا يريدون منى بنظراتهم وحركاتهم، إنها لغة الرعاة بعيدًا عن تعاملى مع البشر. إنها قصة لها أبعاد خطيرة وتحتاج إلى دراسة!

هل ستصل مرحلة من مراحل الإنسان بأن يضحى بعمره من أجل حيوان حبًا فيه؟! ونحن هنا لدينا كم هائل من المولعين بتربية الحيوانات لدرجة النوم على الفراش بجوار بعضهم البعض مما يسبب لهم الأمراض، ومن خلال مجلة النهار الأكثر صراحة ولإتاحتها الفرص لأى موضوع يطرح على صفحاتها والموضوع المطروح أمامكم لا أملك كيف يعالج قضية معقدة حقًا! إنه موضوع داكن هل هى قضية نفسية بحتة أم مشكلة اجتماعية؟!

مجلة النهار عدد: يونيو 2007 م